الفصل بين المناهج

تبسيط مداخل تحليل النص الأدبي

دكتور محروس محمود القللي

أستاذ مساعد (مشارك) الأدب المقارن والنقد الأدبي

جامعة دمياط – مصر

المعلومات الواردة في هذا المكان واردة على الموقع الشخصي للمؤلف:
http://staff.du.edu.eg/826

التحليل الأسلوبي

ما الذي تسمح لنا به الدراسةُ الأسلوبية؟
وما حدودها؟ وما مجال اختصاص الدارس الأسلوبي؟

د. محروس القللي
جامعة دمياط- مصر

***ملخص:**

هدف هذه المقالة هو تقديم لمحة عامة ودقيقة ومختصرة لما يسمى بالمنهج الأسلوبي لتحليل النصوص الأدبية، والوقوف على حدوده واختصاص الدراس الأسلوبي. ونقترح عدة مراحل أساسية:

- توضيح خصوصية المنهج الأسلوبي.
- تقديم الأسلوبية في سياقها العربي، والمصري بخاصة.
- التعريف بالمصطلحات الإجرائية.

***الطالب المستهدف:**

طالب الدراسات العليا – طلاب الليسانس

- **الهدف الأساسي من التحليل الأسلوبي:**

أن نظهر الخصوصية اللغوية لنص محدد، وهذا يعني إظهار الأسلوب الوظيفي من خلال توضيح السمات اللغوية الفردية الخاصة جدا.

وهناك مسلمة -قبل البدء في التحليل الأسلوبي- تتمثل في: ضرورة أن تجيب البنية اللغوية التي نفحصها عن:

- الوظيفة الشاعرية، وأدواتها المفهوم نفسه.
- الوظيفة الجمالية.

- الأسلوبية كدراسة للفهم وليست للتفسير.
- الأسلوبي معنيٌ بالبنية وبوظيفة النص.
- الأسلوبي يجب أن يتخطى مرحلة الحديث عن العبارة phrase إلى الحديث عن الخطاب discourse.

وبذلك يجب أن تجيب الدراسة الأسلوبية عن الأسئلة الآتية:

- عن طريق أي السمات الفردية اللغوية الخاصة يتسم النص؟
- ما الذي يريد إرساله كل من الأديب والنص، ومن خلال أي شكل أدبي يقومان بذلك؟
- ما الطريقة الخاصة بكل كاتب للتعبير عن الرسالة الأدبية؟

- **مداخل البحث الأسلوبي:**

(أ) تقسم مداخل البحث الأسلوبي للنص الأدبي إلى:

1. **تحليل المستويات اللغوية: L'analyse par des niveaux linguistiques**

وهو المدخل الأكثر شهرة، حيث يهتم الأسلوبي بطريقة منظمة بكل العوامل التعبيرية/الجمالية، ومصدرها المستويات اللغوية المعروفة: الصوتية، والمعجمية، والدلالية، والصرفية، والتركيبية، هذه كلها حقائق يمكن أن تكون مصادر للتعبير الفني، وهي عملية مهمة شاقة، ولكنها ضرورية. لذلك، هذا النوع من التحليل يساعد على بيان الأسلوب الفردي للمؤلف، وكذلك في إلقاء الضوء على أصالة عمله الأدبي.

2. **تحليل المظاهر الجزئية L'analyse graduelle:**

يطبق تحليل المظاهر الجزئية على السمات الجزئية المحددة بدقة، والتي توجد في النص المدروس. وهذا النوع من التحليل يؤدي إلى دمج الدلالات الجزئية التي اكتشفت في العمل كله.

3. **تحليل أشكال الأسلوب: L'étude des figures de style**

يقترح هذا المدخل الوقوف على المظاهر البلاغية، ويقيس هذا النوع من التحليل درجة التعبير الفردي التي تميز أسلوب الكاتب. وهي عملية معقدة، وتصنيف أدواتها أكثر تعقيدا.

وتتمثل المراحل الأساسية لهذه الخطوة الأخيرة في مرحلتين:

أ. المرحلة التشريحية، وهي مرحلة وصفية.
ب. المرحلة الفسيولوجية، وهي مرحلة وظيفية.

وقد عدد جورج مولينيه Georges Molinié ثلاثة إجراءات ضرورية لدراسة التعبير المجازي: ندرك مكان الصورة من النص، فوصف النظام اللغوي لها، ثم الترجمة الدلالية[1]. ويجب أن نعرض المراحل الآتية: التحديد وتفكيك والتحقق البحثي (لشكل الصورة ولمستواها) والتفسير المبني على ذلك.

4. التحليل التأويلي La méthode herméneutique:

قليلا وما يتناولها الأسلوبيون في دراساتهم، وتشمل جانبين أساسين:

أ. التفسير التأويلي النحوي، وهو أداة الحصول على معنى الخطاب.
ب. التفسير التقني للفكر، الذي ينظر إلى الخطاب بوصفه فعلَ فكر.

(ب) مداخل تحليل أسلوب الكاتب:

تؤكد الدراسات التي تجرى على لغة الكاتب وأسلوبه على العلاقة القوية بين علم اللغة والأدب بوصفه نصا، وتقترح ضمن أهدافها الأساسية البحث عن الانحناءات inflexions الشخصية في عمل أدبي في إطار وظيفة اللغة الشاعرية. ليس الحديث فقط عن انزياحات، بل عن تنوعات أسلوبية لدى الكاتب نفسه، وعن تفرده singularité. والذي يعنينا هنا هو الرؤية الشخصية لفهم عالَم المؤلف وحياته، وأن نحس بها. بالطبع سيكون ذلك من خلال لغته لا أكثر.

ويكشف تحليل النص الأدبي وأسلوب الكاتب عن أهداف أخرى مهمة:

1. تحليل للنص الأدبي طبقا للإجراءات التي يوظفها الكاتب في نصه، وهي عملية يمكنها إلقاء الضوء على الفكرة الرئيسية وعلى خصوصية الأسلوب الفردي. ويقترن هذا النوع من التحليل دائما مع مستويات دراسة اللغة.
2. تحليل أسلوب الكتاب في ضوء انتمائهم لتيار أدبي (الكلاسيكية – الرومانسية ...) أو إلى جماعة أدبية (أبوللو – الرابطة القلمية – الصعاليك – المقنعين ...)
3. تحليل أسلوب الكتاب في ضوء وجود خصوصية لغوية تجمع بينهم

(ج) التحليل الأسلوبي لنوع أدبي أو لنوع أدبي فرعي:

ويتجاوز هذا المنهج حدود الأسلوبية، بحيث يحتل مكانا بين البلاغة و الشاعرية، ويجب أن يتحمل هذا الاتجاه الأسلوبي الشكل المُهجن الذي يظهر عليه (نجد أن مفهوم النوع الأدبي لا يمكن فصله عن مفهوم الأسلوب) كما يؤكد (بيير جيرو Pierre Guiraud). ويمكن أن نميز بوضوح بين الأنواع الأدبية

[1] Georges Molinié, *Éléments de stylistique française*. Paris: PUF, 1986, p. 84

الرئيسية والفرعية على النحو الآتي: الغنائية والملحمية، والرومانسية، والمأساوية، والكوميدية، والرعوية، والريفية، والخطابية...إلخ. ويلاحظ أن العمل البحثي في هذا المجال في الدراسات الجامعية نادر جدا.

(د) التحليل الأسلوبي الانتقائي:

يعد هذا مدخلا منهجيا للدراسات الجزئية التي يمكن أن تكون فعالة لقراءة النصوص الأدبية. ويتجه انتباه القارئ فيها إلى حقل له حدوده منهجيا: عناصر اللغة أو الأسلوب (الرسمي، والشعبي، والفصيح...إلخ) في أي عمل من الأعمال...يتجه كذلك إلى الحقائق اللغوية التي يمكن تحليلها في مستوى لغوي معين، أو في جزء من النص، بحيث تكشف عن خصوصية الكاتب والنص...ولهذا النهج عيوبه التي تبدو من خلال اجتزائه النصوص، أي إنه لا يقدم صورة كاملة للكاتب أو للنص المدروس.

- **نتائج منهجية:**

بعد هذه المحاولة البسيط (المؤقتة) لوضع الأسلوبية في مكانها الصحيح منهجيا، نذكر أن الأسلوبية المعاصرة تركز على العلاقة بين الشكل (التعبير) والمحتوى (المعنى)، فهي تتجه نحو التطبيق العملي على (الملفوظ énonciative)، إن الأسلوبية هي دراسة اللغة في وظيفتها النصية، وهي علم لغة السياق، أي الدراسة اللغوية التي تبين عن السياق.

وطبقا لما يعلنه جورج مولينيه، فإن الأسلوبية: "عمل تطبيقي وتخصص ميداني، وعلى الرغم من أن تعدد نقاط التواصل بين الأسلوبية والاختصاصات الأخرى بطريقة ملحوظة، تبقى الأسلوبية في ذاتها وهي (ليست فقط تاريخ الأدب، أو النقد النفسي، ولا هي شخصية الأبطال، ولا الاعتبارات المتعلقة بمهارة المؤلف...ولا هي العمق الجمالي لتحليل قطعة أدبية، ولا هي تحليل النطاق الإيديولوجي لما نقوم بتحليله من نصوص، ولا مشاعر القارئ حال تلقيه النص. إنها تتصل بشكل حصري وتام بطرق الجمع والتفكيك للمحددات الشكلية، وطريقة الجمع بينها، وأهميتها في النظام التعبيري بشكل عام([2])".

وانطلاقا من هذه المعطيات:

1. **لا يجوز الجمع –مطلقا- بين شعراء تحت عنوان (دراسة أسلوبية) إلا بشروط:**
   أ. إذا أراد الأسلوبي الكشف عن أسلوب كتّاب ما ليكشف عن انتمائهم إلى تيار أدبي بعينه له سماته العالمية المتعارف عليها.
   ب. إذا أراد الأسلوبي الكشف عن أسلوب كتّاب ما إلى مجموعة أدبية معينة

---

(2) *Éléments de stylistique française*. 146.

ج. إذا أراد الأسلوبي الكشف عن وجود ظاهرة معينة بين الأدباء المدروسين، ووصف تلك الظاهرة لغويا...

يقول البروفسور لويس هيربير في رسالة خاصة:

"يعتمد كل هذا -بادئ دي بدء- على تعريف الأسلوب: بوصفه سمة فردية لكاتب ما (أو لجزء من أعماله) ...أو بوصف الأسلوب سمة لجنس/نوع بعض الأعمال (على سبيل المثال: الأسلوب الرومانسي).

بعد ذلك، حتى بالمعنى الفردي للأسلوب، فمن الممكن أن نبحث عن السمات الفردية التي نوازن من خلالها بين جماعة من الكتاب[3]".

وانطلاقا من هذا لا يجوز أبدا أن يكون هناك دراسة أسلوبية لها منهجها التقليدي ذو المحاور المعروفة تجمع بين أديبين أو بين عدد من الأدباء، ولذلك فإن عنوانا مثل: (شعر الصعاليك دراسة أسلوبية) عنوان مرفوض منهجيا -حتى لو أنجز هذا العنوان بالفعل- ففي نتائجها خرق منهجي؛ لأن معطياتها المنهجية باطلة...فكيف نقول مثلا: تنتشر الجملة الإنشائية عند الشعراء الصعاليك (مثلا: عروة والشنفرى والحارث المري و تأبط شرا...) ثم نأتي بمثال لكل شاعر...

نعرف أنه تجمَع هؤلاء الشعراء على اختلاف أنواعهم بين (أغربة العرب وخلعاء ومحترفين) بعض السمات الأخلاقية والإنسانية مثل الفقر والتمرد والسلب والنهب، وأنهم في الغالب جماعة من الفقراء اللصوص، انتشروا في الجزيرة العربية خرجوا عن طاعة قبائلهم ولم يخضعوا للأعراف القبلية بل تمرّدوا عليها، ولم يتقيدوا بالتزام القبيلة أو مخالفاتها لقبائل أخرى أو تعرض القبيلة لأخطار جسيمة ...

كل تلك الصفات لا تشفع أبدا للجمع بين الصعاليك الشعراء في دراسة أسلوبية...لماذا؟ لأن الدراسة الأسلوبية كشف باللغة وليس العكس، أي من المفروض أن الدراسة هي التي ستكشف بأدواتها اللغوية –فقط اللغوية- عن أسلوب الشاعر...فكيف تكشف الصورة أو الجملة عند كل الشعراء عن خصوصية كل شاعر من هؤلاء الشعراء، ومنهم الأمير والصعلوك؟ لابد أن الأمر سيكون تلفيقا منهجيا يكشف عن غياب في المصطلح العلمي وأدواته الإجرائية.

---

[3] من رسالة عبر البريد الإلكتروني إلى البروفسور Louis Herbert الأستاذ الكندي في الأسلوبية وتحليل الخطاب، وكان نص رسالتي إليه بتاريخ 26 أكتوبر 2015: "عزيزي البروفسور لويس هيربرت، شرفت بقراءة كتابكم المعنون (تحليل النصوص الأدبية: دراسة منهجية متكاملة)، ولدي سؤال أطرحه عليكم: "لو أنه لدينا مجموعة من الشعراء أو الروائيين، هل يمكننا أن نضع المجموعة الواحدة منهما في دراسة أسلوبية، عنوانها: شعر شعراء (التروبادور – الصعاليك – الشعراء الكلاسيكيون المصريون- شعراء مدرسة الفجر) دراسة أسلوبية؟ وإلا، فمتى يمكننا الجمع بين مجموعة شعراء في دراسة أسلوبية واحدة؟ وفي انتظار ردكم الكريم، أوجه لكم الشكر الجزيل". فرد سيادته بما ورد أعلاه.

وقس على ذلك شعر الخوارج، وشعر المهجر، وشعر الرابطة القلمية، والرابطة الأندلسية، وجماعة الديوان، وجماعة أبوللو، وشعراء مدرسة الفجر، شعراء الخوارج، شعراء المرجئة، شعراء الزيدية، شعراء اليهود، شعراء النصارى...

إذ الجائز فقط ما أشرنا إليه سابقا.

- **مصطلحات وعبارات لا تستخدم في البحث الأسلوبي:**
  - يكشف الواقع المجتمعي عن أسلوب الكاتب...
  - تكشف نفسية الكاتب عن أسلوبه....
  - أسلوب الكاتب يعد صدى للمجتمع أو مرآة له...
- **تفشل خطة البحث منهجيا إذا بدأت بما يأتي:**

- الحديث عن أحوال المجتمع والحقل الثقافي أو ما شابه ذلك؛ لأن ذلك يكشف غياب الفروق المنهجية التي تُبينها أصول المناهج النقدية ومصطلحاتها لدى الدارس...إذ إن طبيعة البحوث في تاريخ الأدب وفي الدراسات الفنية هي التي تستدعي فقط مثل هذه المداخل؛ لأن الدارس سيبحث عن تأثيرها في الأدب شعره ونثره.

- الحديث عن الأديب ونتاجه الأدبي وحياته ومماته، لأن ذلك يؤكد على عدم وعي مسبق بالمناهج والفصل بينها...ولا يقوم بمثل تلك المداخل إلا الدارس في الأدب تقليديا....مثل العناوين الثلاثينية والأربعينية والخمسينية: الشاعر (فلان) حياته وشعره، أو موضوعات شعره ثم المداخل الفنية.

- **تخصص دارس الأسلوب:**

فالعبرة بالمنهج المتبع في تحديد تخصصات الباحثين، فليس معنى دراستنا في نص حديث أننا متخصصون في الأدب الحديث...وفي الغرب -حيث وضعت مناهج الدراسات المعاصرة- بالغوا في تحديد التخصصات لتطوير مجالات البحث فيها، فهناك أساتذة في البراجماتية والتحليل الأدبي وأساتذة في الأسلوبية وأساتذة في السيميائيات، ولكن تدرج كل هذه التخصصات ضمن تخصص عام هو (علم اللغة).

ولأن البلاغة تُدرس في الغرب ضمن مناهج اللغويات وليس الأدب؛ نظرا لتوازي أدواتها مع فصول البحث في علم اللغة العام، فقد نازعت التخصص، وبخاصة في الدراسات العربية؛ لأن البلاغة العربية وتاريخها يعتمدان في جزء كبير على التحليل اللغوي.

- مراجع المقال:

- Pierre Guiraud. 1979. *La stylistique*. Paris: P.U.F.
- Georges Molinié. 1986. *Éléments de stylistique française*. Paris: PUF.
- http://www.inst.at/trans/16Nr/14_1/sporis16.htm#_ftnref5
(مقال للباحثة الرومانية فاليرسا سبوريس Valerica Sporiş)
- رسالة من البروفسور الكندي في الأسلوبية وتحليل الخطاب لويس هيربير، يراجع نصها على الموقع الشخصي للمؤلف

د. محـروس محمود القللي (جامعة دمياط-مصر)